"قصر الملك آشور – أخي – أدينا بنينوى

قراءةٌ وتحليلٌ في الكتاباتِ التذكاريَّة والأَدلةِ الأَثريَّةِ "

أ. خالد سالم إسماعيل
قسم النقوش واللغات العراقية القديمة
كلية الآثار-جامعة الموصل

اعتادت المباحث الآثارية عند الحديث عن مدينة نينوى القديمة التركيز والأطناب بالحديث عن الأعمال والمكتشفات الأثرية في موقع تل قوينجق[١]، دون الحديث بالإسهاب نفسه عن التل الآخر – أعني: " تل النبي يونس (الشكل١: أ، ب، جـ) " أو كما يُعرف أيضاً بـ "تل التوبة"[٢]. سوى ذكر اسمه وقدسيته وانه يشكل مع التل الأول المركزين الرئيسين لمباني العاصمة الآشورية نينوى (الشكل ٢)، وهو ما درج عليه الباحثون منذ أعمال كلوديوس ريج (C.J.Rich) عام ١٨٢٠وحتى وقتنا الحاضر[٣]. ولعل الأسباب التي فعّلت هذا الأمر عديدة أهمها هو تربع جامع النبي يونس (الشكل ٣: أ، ب، جـ، د) على الجزء الأكبر من التل وما يُشكله هذا المعلم الإسلامي من قُدسية، فضلاً عن المقبرة المجاورة (الشكل٤) التي تقع قليلاً إلى الشرق من الجامع وكذلك الدور السكنية المُنتشرة حول الجامع والمرقد وامتداداتها حالياً باتجاه الأطراف الجنوبية والجنوبية الشرقية من التل. كل هذه الأسباب مجتمعةً حالت وتحول دون القيام بأعمال تحر واستكشاف وتنقيب فيه بالسعة ذاتها والتركيز الذي ناله موقع تل قوينجق[٤]، لذا نجد المعلومات المتوافرة عن أعمال التحري والتنقيب الأثري في تل النبي يونس جاءت مُقتضبة وأحيانا مرتبكة ومتداخلة[٥]، إذ اقتصرت على أعمال تحرٍ يسيرة وحُفر جس أو نبش بعضها اعتمدت على الخديعة والسرية[٦]. أو أعمال صيانة[٧]، أو تنقيبات إنقاذية مُستعجلة ومحدودة، إما بسبب شق طريق موصل – أربيل[٨] أو القيام بأعمال ترميم وتوسعة في جامع النبي يونس ومُحيطه[٩]. لذا آثِرتُ التعرض لأهم معالم التل من العصر الآشوري الحديث (المُكتشفة والمعروفة لحد الآن) والذي ذُكر أيضاً في المصادر المسمارية المُكتشفة من التل نفسه[١٠]. وكذلك من حفريات لا يارد عام ١٨٥١[١١]، فضلاً عن التحريات التي قامت بها دائرة الآثار والتراث في استكشاف بعضٍ من أجزائه عن طريق تنقيبات سريعة عام ١٩٨٦، وأقصد هنا قصر الملك آشور– أخي – أدينا[١٢] (اسر حدون) (٦٨٠-٦٦٩) ق.م.

وهدفي الأول هو محاولة إيجاد قياسات القصر بالاعتماد على ما ذكره الملك آشور–أخي– أدينا في موشوره الفُخاري ومدى مطابقة ذلك على الأرض التي يعتليها جامع النبي يونس مفترضاً أن تكون مُخططاته وقياساته معلومة ومدونة في المباحث الخاصة بالتراث العربي الإسلامي وبعد تقصي وبحث فوجئت بعدم وجود قياسات واضحة ودقيقة لجامع النبي يونس في مُعظم كُتب التاريخ والآثار الإسلامية المتوافرة[١٣]. ماعدا مُخطط لمُصلى الجامع (بيت الصلاة) (الشكل ٥) الذي قدمه الباحث شريف يوسف وهو الآخر يخلو من مقياس رسم[١٤]. فضلاً عن مُخطط مُختصر للجامع (الشكل ٦) وضعه السيد لؤي عبد الخالق بتاريخ ١٩٨٦/١٠/٢٥[١٥].

إن هذا الأمر جعل من محاولة الاستدلال على مساحة المبنى القديم للقصر بقياسات تقريبية عن طريق المبنى الأحدث، أقصد الجامع أمراً غير ممكنٍ، لاسيما أنّ الظروف الحالية لا تُتيح القيام بدراسة ميدانية جادة لموقع الجامع والتل.

القصر في ضوء أعمال التحري والتنقيب

قام اوستن هنري ليارد عام ١٨٥٠ بعمل محدود أثناء الحفر في القسم غير المشغول بالسكن في تل النبي يونس[١٦]. وفي عام ١٨٥١ حصل ليارد الذي يُعد من أوائل الذين نقبوا في مدينة نينوى على موافقةِ أو ترخيصِ للحفر في مدينة الموصل بحثاً عن الآثار القديمة في تل النبي يونس، وحينها قام بالحفر في سرداب لبيت غير مسكون مُشيد في موقع تل النبي يونس وبهذه الوسيلة (الحيلة) إن صح التعبير استطاع ليارد من الكشف عن غُرفة ذات جُدران حجرية مصفوفة بألواح من الرخام (حجر الحلان) تحمل اسم الملك آشور- اخي- أدينا (اسرحدون)، وألقابه ونسبه، وبهذه الطريقة تمكن ليارد من التحقق من وجود قصرٍ للملك الآشوري في تل النبي يونس[١٧]، إلا أنّ السلطات المحلية أوقفته عن العمل لدواعٍ دينية فحرمته من القيام باكتشافات إضافية لمبنى القصر[١٨].

وفي عام ١٩٥٤حصلت مُديرية الآثار العامة آنذاك على موافقة للقيام بتنقيبات محدودة في الرُكن الجنوبي الشرقي من التل، بسبب أعمال شق وإنشاء طريق (موصل- أربيل) (الشكل٧) الذي يمُر من تلك المنطقة، وقد جرت التنقيبات حينها بقيادة المرحوم السيد محمد علي مصطفى، وأثناء موسمها التنقيبي الأول نجحت في الكشف عن مدخل القصر وعدة غُرف غُلفت جدرانها بألواح حجرية تعود لقصر ضخم.

وفي السنة اللاحقة تمكنت الهيئة العراقية من الكشف عن موشور طيني (الشكل ٨: أ، ب، جـ) شبه كامل تحت أرضية القصر أي على المصطبة التي كان قد أقامها آشور – أخي – أدينا لقصره، وقد كان لهذا الاكتشاف أهمية بالغة، وذلك لأن الكتابات المسمارية المُدونة على هذا الموشور حددت هوية المبنى وهو قصر الملك الآشوري اسرحدون في نينوى، الذي أطلق عليه (ekal māšarti) وإضافة جزءٍ جديدٍ إليه سمّاه (bittānu)، وأن هذه البناية أُنشئت لتكون بمثابة مركزٍ إداريٍّ للملك اسرحدون ومستودعٍ لجيوشه، وخُصص فيه جناحٌ لسكن الملك وحاشيته[١٩]

وفي عام ١٩٨٦ قامت دائرة الآثار والتراث بالتنقيب في تل النبي يونس بعد ظهور بداية مقدمة صدر ثور مُجنح وعلى مسافة (٢٣م) من الجانب الشرقي لجامع النبي يونس، وقد تمكنت الهيئة آنذاك من الكشف عن ثور مُجنح (الشكل ٩:أ، ب) تألف جسمه من عدد من الكُتل أو المكعبات الحجرية المهندمة المُتراصة بعضها على شكل مُستطيل وبعضها الآخر على شكل مُربع (الشكل ١٠)، وتتجه مقدمة المنحوتة نحو الشمال الغربي أظنها تُمثل الشطر الأيسر من مدخل القصر، ويتصل بالقسم الخلفي منه بدايات لمنحوتة أخرى وبالحجم نفسه ومن نوع الحجر ذاته الذي عُمل منه الثور المُجنح الأول، وربما يؤدي هذا الجزء إلى واجهة ضخمة لأحد أقسام قصر الملك آشور-آخي- ادينا[٢٠].

القصر في ضوء الكتابات التذكارية

لقد عُثر على أكثر من نص مسماري يؤرخ لهذا القصر عبر مراحل التحري والتنقيب التي أجريت في تل النبي يونس منذ عام ١٨٥١[٢١] حتى وقتنا الحاضر، وسنعرض الدراسات التي قامت على المدونات القديمة للنصوص المسمارية الخاصة بالملك آشور-آخي- ادينا، التي تلقي الضوء بشكل مباشر وتفصيلي على قصره في نينوى، وهي على التوالي:

١- الدراسة التي قدّمها الباحث روبرت فرانسيس هاربر(bert Francis Harper) في عام ١٨٨٨ وقد عرض فيها قراءة وترجمة للكتابات المسمارية على أسطوانة تذكارية من نينوى للملك اسرحدون[٢٢].

٢- دراسة الباحث الأمريكي أليكساندر هايدل (Alexandar Heidel) مع ترجمة لموشور الملك آشور-آخي- أدينا كانت من إعداد الباحث اوبنهايم بعد وفاة الأول قبل نشر المقالة في عام ١٩٥٥والنص محفوظ في المتحف العراقي وموسوم بالرقم (M.59046) وقد عثرت عليه هيئة تنقيب عراقية، ويتمتع هذا النص بأهمية بالغة كونه خاص بقصر الملك اسرحدون وعُثر عليه في مكانه الأصلي (in situ) تحت الأرضية وعلى مصطبة اللبن التي بنىٰ اسرحدون عليها قصره. كما انه مؤرخ بالعام ٦٧٦ ق.م[٢٣].

٣- الدراسة الشاملة التي قدمها الباحث الالماني ريكيل بوركر(Rekele Borger) عام ١٩٥٦و١٩٦٧ لمُعظم نصوص الملك اسرحدون في السلسلة المعروفة (Afo)[٢٤].

٤- وأخيرا الدراسة المقارنة والفريدة لنصوص الملك اسرحدون، التي قام بها الباحث جيفري ترنر في١٩٧٠ في مجلة (IRAQ)[٢٥]. إذ قارنها مع نصوص الملك الذي سبق اسرحدون الذي أتى بعده .

تسميات القصر

اختلفت التسميات التي أطلقها الملوك الآشوريون الذين تعاقبوا على بناء أو تجديد أو توسيع هذا المبنى أو تجديده أو توسيعه، الأمر الذي انعكس على تفسيرات الباحثين فتباينت آراؤهم في ترجيح هذه التسمية أو تلك، إلى درجة أن بعض الباحثين قد وقع في لبس عند اعتماده تسميةً لجزء أو أحد مرافق القصر، ليطلقها على المبنى ككل.

ولعل السبب المباشر لهذا الأمر نابع من كون المبنى لم يتم تنقيبه أو استظهاره بشكل كامل[٢٦]، وقد أشرنا إلى أسباب ذلك في بداية حديثنا عن موقع القصر، وحتى الترجمات العربية لاسم القصر التي اعتمدت على مصادر أجنبية جاءت ترجماتها غير دقيقة بسبب عدم مراجعة أو تدقيق النص الآشوري وعدم إقرانه بالدلائل الأثرية المتوافرة[٢٧]، أو حتى مناقشة الأسباب الموجبة لإنشاء هذا المبنى وعلاقته بالتسمية. وبناءً على ما تقدم وجدتُ من الضروري استعراض الترجمات الأجنبية المقدمة ومُقارنتها بالمفردات الأكدية التي وردت في النص المسماري، وفي مُقدمتها التسمية التي أطلقها آشور- اخي- ادينا على قصره في موشوره الشهير وقد جاءت في النص المسماري:

É .GAL pa-qi -da -at ka-la -ma [٢٨]

وترجمته

"**القصر الذي يحشد**[٢٩] **كل شيء**" وأظنها الأدق من بين الترجمات المُقدمة لهذا السطر من النص على الرغم تقارب بعض الباحثين في رؤيتهم عن مُسمى هذا القصر فنجد الباحثين هابر ولوكنبيل عرفاه بعبارة " **القصر الذي يحرس (يحمي) كل شيء**"[٣٠] .

وأخذ معظم الباحثين العراقيين عن الأخير الترجمة الانكليزية وقدموها بصيغة: "القصر الذي يجمع كل شيء" من دون تدقيق اسم القصر في النص المسماري الأصلي . في حين عرفها هايدل وفق الآتي: "**القصر الذي يجتمع أو (يحتشد) فيه كل شيء** "[٣١]، بينما اعتمد الباحث الانكليزي جوليان ريد (Reade) – الذي أرخ للمدن الآشورية في موسوعة أو معجم الآشوريات (RLA) – على ترجمة الباحث الألماني بوركر (Borger) وهي: "القصر الذي ينظم كل شيء"، وقُصد بها إعادة تنظيم وحدات الجيش، كون هذا القصر كان مكاناً لتنظيم واستعراض الجيش الآشوري لقواته هناك في كل سنة جديدة[٣٢]. وكذا انطوى تفسير الباحثة بورتر (porter) لوظيفة هذا القصر[٣٣].

ولو استعرضنا التسميات الآشورية الأخرى التي أطلقت على هذا القصر لوجدنا مُعظمها ذا علاقة بالوظيفة الرئيسة التي شُيد لأجلها القصر وهي أن يكون "**مستودعاً أو ترسانة للسلاح**"، إذ عرَّف كل من الملكين- آشور-اخي- ادينا وابنه آشور- باني- ابلي [٣٤] (اشور- بانيبال) (٦٦٨-٦٢٧) ق.م. هذا البناء بالتسمية الأكدية ekal māšarti بأنه " **مستودع أسلحة** "أو" **ترسانة** "، والاسم المتعارف عليه والشائع: ÈŠ. GAL . ŠID. DÙ. DÙ . A É.GAL pa-qi-da-at ka-la-mu أي: "**القصر الذي يحتشد فيه كل شيء** "[٣٥]، بينما أشار الملك سين- اخي- اريبا[٣٦] (سنحاريب) (٧٠٤-٦٨١) ق.م. إليه باسم "ekal kutalli" ويعني "**القصر الظهير**" أو "**الساند**" (حرفياً: **الذي يسند الظهر**)[٣٧]. وربما هذه التسمية لها علاقة بقصره الرئيس في تل قوينجق، لكننا نرجح صلتها الوثقى ببوابة السلاح في نينوى. وبما لايبتعد كثيراً عن التسميات فإننا نجد الباحثين أحياناً يشيرون إلى القصر بالتسميتين مجتمعة "ekal kutalli/ māšarti"[٣٨] وهناك من يشير إلى تسميات أخر للمبنى نفسه مستنداً إلى النص الذي عُثر عليه في bīt kutallī بنينوى الذي يعود للعاهل الآشوري آشور- ريشا - أيشي الأول (١١٣٢- ١١١٥) ق.م. إذ يُذكر أنّه أعاد بناء بيت سمّاه bīt šahūri والعائد

لبناية bīt kutallī الذي تهدم أثر هزة أرضية ضربت مدينة نينوى إبان حكم الملك آشور– دان الأول (١١٧٨–١١٣٣) ق.م[٣٩].

وقد استحدث آشور– اخي– ادينا جناحاً آخر للقصر وسمّاه bīttānnu وقُصد به "**البناية الداخلية** "[٤٠] أو "**بناية خاصة داخل القصر**"[٤١]، وفي كتابة لاحقة أطلقت عليه تسمية bīt šarri وتعني "**جناح الملك**"، ويبدو أن هذين المصطلحين على صلة ببعضهما استناداً إلى رسالتين آشوريتين متأخريين، إحداهما أرسلت إلى الملك اسرحدون معظمها مخروم لكن نقرأ فيها: ina pān bit -tan -ni ina pān É.KI .NA .MEŠ bīt šarri is-si- niš ú –ta-ka- mu-ni وما يهمنا من النص أعلاه هو ذكر التسميتين معاً. وبذلك يعني أن المصطلح المواطئ للبيتانو bīttānu هو بيت– شري bīt - šarri قُصد به الجناح الخاص بسكنى الملك، فضلاً عن رأي منفرد يجعله قاعة عرشه وقصر سكنه[٤٢]. وقد رأى الباحث اوبنهايم (oppenheim) أن bīttānu هو بناء ذو طراز غربي، وان المفردة الأكدية التي تعني "**داخليا** ً" هي مفردة معارة من لهجة سامية غربية بمعنى "بيت صغير"، بينما وظّفَ استعمالها في اللغة الأكدية لتعنى "مبنى الرفاهية الصغير "وهي وحدة سكنية مستقلة خاصة بالملك وولي العهد[٤٣].

وصف القصر في الكتابات الملكية

ليس لدينا حتى الآن أية معلومات تُشير بوضوح إلى الأسس الأصلية للقصر في أي من النصوص المسمارية المُكتشفة إذ يذكر سنحاريب أنّه اعتمد على التصميم السابق للمبنى الذي شيده أسلافه الملوك لكنه لم يتطرق إلى أسمائهم، ويصف سنحاريب أسسه بأنها كانت ضعيفة ورخوة ولا يمكن أن يستند عليها اللبن الجديد لذا هدمها، وبعد ذلك قام بتوسعة القصر وامتد ببنيانه ليشمل أراضي متروكة (بور) في ضواحي المدينة اقتطعها من مساحات خضراء، وحددها بأنها تقع داخل السور وخارجه وعلى هذا الموقع شيد "**القصر الظهير**" أو "**قصر السلاح أو الترسانة** " É.GAL kutalli / māšarti ويذكر أنه قام بإنشائه فوق مصطبة مُرتفعة من اللبن بالأكدية "tamlū " وتعني "مصطبة أو دكة " وأن عدد صفوف اللبن بلغت ما يُقارب من (١٨٠–٢٠٠) صف أو طبقة بالأكدية "tipku"، وبما يوازي ارتفاع سور المدينة (الشكل ١١)[٤٤].

وعليه فإن "قصر السلاح " يقف عند أعلى مستوى لسور المدينة[٤٥]. أما ما قام به الملك اسرحدون في إعادة بناء هذا القصر وتوسعته فيُعد الأكبر حتى الآن بحسب المكتشفات الأثرية والمدونات الكتابية، ولا يسعنا هنا إلا أن نُفصِّل بالحديث عما جاء في نص الملك آشور– أخي– أدينا وتحليل ما ورد فيه من فقرات غاية في الدقة والتشويق وهو يتحدث عن مراحل إعادة إعماره لهذا القصر الشهير، وبالتأكيد لست الأول في تناول هذا النص فقد سبقني العديد من الباحثين أتيت على ذكر معظمهم في أول البحث، لكني وجدتُ من المُفيد أن أتناول النص بأسلوب تحليلي مُقارن مع الواقع على الأرض وبما لا يخرج عن الإطار العام للنص؛ لأن مُعظم الدراسات السابقة قدمت ترجمة عامة للنص وأحياناً حرفية من دون مناقشة الأفكار والمفاهيم التي وردت فيه ماعدا الدراسة الفريدة التي قدمها الباحث جيفري ترنر عام ١٩٧٠، والإشارات اليسيرة عن القصر التي قدمتها الباحثة باربارا بورتر عام ١٩٩٣، وهي الأخرى لم تبتعد كثيراًعن حدود الترجمات المُقدمة للنص المسماري.

ولعل تناولنا للنص سيكون أكثر تجرداً وبُعداً عن أساليب المُبالغة التي تتضمنها الكتابات التذكارية الآشورية في بعض الأحيان، ومحاولة إيجاد قرائن بين فقرات النص المسماري مع واقع الأبنية الموجود حالياً على تل النبي يونس والتغييرات التي طرأت عليها، ولا سيما أننا لانملك القياسات الدقيقة التي كان عليها قصر اسرحدون بسبب عدم الكشف عنه بالكامل في التنقيبات السابقة، ولانملك قياسات دقيقة للبناء الأحدث على التل ألا وهو جامع النبي يونس ولا قياسات التوسعات التي أضيفت إليه، وحتى تل النبي يونس نفسه ليس لدينا بالضبط الحجم الصحيح له مع عدم إغفال المتغيرات التي حصلت وتحصل عليه.

كما هو مُعتاد في الكتابات التذكارية فقد استفتح اسرحدون النص بذكر اسمه وألقابه ثم نسبه مع تحديد ماهية المبنى حيث يذكر:

É . GAL ^{md}AŠ - šur - ŠEŠ .SUM.NA

LUGAL GAL -ú LUGAL dan-nu

LUGAL kiš-šá -ti LUGAL KUR Aš-šur^{ki}

DUMU ^{md}30 .PAP .MEŠ .SU LUGAL KUR Aš- šur^{ki} (٤٦)

وتُترجم: " قصر آشور– آخي– اريبا الملك العظيم، الملك القويّ ملك العالم، ملك بلاد آشور..... ابن الملك سين–آخي– اريبا ملك بلاد آشور. وبعد ذكر أسماء الآلهة وأشهر أعماله الحربية من دون أن نخوض في تفاصيلها ثم يأتي على ذكر بناء مستودع الأسلحة (الترسانة) إذ جاء ما نصه:

ina UD –me-šu-ma E.GAL ma-šar-ti

šá qí-rib URU Ni -na -a

šá LUGAL .MEŠ a-lik mal -ri AD.MEŠ-ia
ú -ša - pi -šu (٤٧)……."

وتُترجم:

في تلك الأيام قصر الأسلحة (الترسانة)(٤٨) الذي يقع في نينوى الذي بناه آبائي (أجدادي) الملوك الذين سبقوني ..... وبعد ذكره لأهمية القصر ووظيفته نقصد هنا الأسباب الموجبة لهذا البناء العظيم. ينتقل إلى مسألة التوسعة التي أجراها على القصر، وأنّه قام بضم أراضٍ جديدة من الحقول المجاورة وربما كانت أراضٍ صالحة للزراعة ضمن حدود مدينة نينوى القديمة، وأنه جعله قصراً كبيراً يذكر فيها قياساته إذ جاء في النص :

e - li tam -le -e šu -a -tu

É .GAL .MEŠ rab-ba-a-ti

a-na mu-šal be-lu-ti-ia

ab -ta-ni li -ru -uš-šú

É dan-ni ša 95 ina 1 kuš GAL -tim GÍD .DA

31 ina 1 kuš GAL – tim DAGAL (٤٩)

وتُترجم: " بنيتُ على هذه المصطبة قصوراً عظيمة (مجمع قصور فخمٍ) كما كان لإقامة سيادتي، وشيد المبنى الرئيس (في القصر) الذي طوله ٩٥ ذراعاً كبيراً، وعرضه ٣١ ذراعاً كبيراً ".٥

a-na maš-quit ANŠE .KUR.R.A.MEŠ qí-rib-ša

pat-tu ú – še-še –ram-ma

ú-šal-bi-ba a-tap-piš

وترجمتها :

" وجهت قناة للري إلى داخله (أي القصر) لتزويد الخيول بالماء، وجعلت لها خريراً (مع استمرار تدفق الماء) كأنها قناة ري".

في حين ترجمها بوركر: "ولسقي الخيول بالماء، أجريت قناةً إلى الداخل لهذا الغرض"(٥٠) وهنا لابد من الإشارة إلى أن كل ما تقدم ذكره في النص المسماري للملك اسرحدون أيدته التحريات والتنقيبات التي جرت في تل النبي يونس، ولا سيما العراقية منها بين عام ١٩٤٥– ١٩٨٦، فقد كشفت تنقيبات دائرة الآثار عام ١٩٥٤ عن مجموعة من الآثار في إحدى بوابات قصره المطلة على النهاية الشرقية من التل، بينها غنائم ذكرت في النص المسماري إذ عُثر على ثلاثة تماثيل لفرعون مصر طهراقة والمنشور الفخاري الذي نحن بصدده(٥١)، وكذلك الحفريات التي أجريت بالقرب من التل التي استهدفت استظهار أجزاء أحد أبراج سور نينوى الغربي، الذي يمر بمحاذاة الطرف القريب من تل النبي يونس

وتحديداً بالجزء المطل على بداية الطريق الذاهب إلى أربيل وهو قريب أيضاً من بوابة السلاح في سور نينوى القديمة[٥٢]. وكذلك الجزء الساند لمصطبة قصر الملك اسرحدون، إذ تمت صيانة القسم الشمالي منه والمطل بشكل عمودي على الشارع المجاور، ومن أجل الحفاظ عليه من التآكل بسبب سيول الأمطار وعوامل التعرية الأخرى وحماية للمارة من خطر انهيار كتل منه بشكل مفاجئ، شيّد جدار بطول (١٤٠) م عند قاعدة المصطبة وارتفاع (٢) م وعرض (١,٥) – (٢) م[٥٣].

وفي أواسط تشرين الأول في عام ١٩٨٦، وحين كانت آلية (شفل) تعمل على إزاحة أنقاض الدور المزالة من سطح تل النبي يونس وتسوية الأرض على مسافة (١٠٠) م إلى الغرب من جامع النبي يونس، اصطدمت بجسم صخري كبير فأوقف العمل، وبدأت دائرة الآثار آنذاك بعمل متواصل ودقيق ولمدة يومين متتاليين فظهر تمثال كبير الحجم لثور مُجنح ضخم من حجر الحلان، وهو ما جاء على ذكره اسرحدون في نصه آنفاً، وأن هذا الثور نُحت من عدة كُتل حجرية على شكل مُكعبات، وهو يقوم على قاعدة ضخمة من الحلان (شكل) وتتجه مقدمة التمثال نحو الشمال الغربي، كما عُثر على أجزاء من ثور آخر لم يستظهر بشكل كامل حتّى الآن، وجدتُ على الأرضية مجموعة من الطابوق المزجج ذي اللون الأبيض والأزرق والأصفر.

وربما يكون فقدان الأقسام العليا من جسم الثور (شكل) قد وقع في منتصف القرن التاسع عشر حين كانت حمى نهب قطع النحت الآشوري سائدة، ونُرجح أيضا أنها ذات النقطة التي نبش فيها هنري لايارد في عام ١٨٥١عند حفره في سرداب أحد المنازل إذ ذكر أنه استدل على إحدى مداخل قصر اسرحدون وعُثر على ألواح حجرية هناك[٥٤].

ولو قمنا بحساب مساحة القصر التي ذكرها اسرحدون في نصه ومقارنتها بمساحة التل أو مساحة جامع النبي يونس لأمكننا إعطاء مساحة تقريبية للقصر ولو بأسلوب نظري افتراضي[٥٥].

وقد أضاف اسرحدون جناحاً آخر إلى القصر لم يكن موجوداً في السابق سمّاه bīttānuʾ، وقد يكون المقصود به الجناح الخاص بسُكنى الملك bīt šarri الذي ربما كانت قياساته مُطابقة إلى حد كبير قياسات القصور الآشورية المُتأخرة[٥٦] كما إن هناك أكثر من ستة أجنحة آخر مضافة للقصر لم تُذكر بشكل صريح ومُفصل في جميع النصوص، بل اقتصر ذكرها على بعض النصوص دون أخرى.

وفيما يخص قناة الماء التي أوصلها إلى القصر وذكر أنّ لها خريراً فلا تُعلم الطرائق التي اعتُمِدت في رفع المياه إلى الأعلى، وإن اسرحدون لم يذكر على أي مصدر(نهر) اعتَمد في جلب المياه، وهنا لا يفوتنا التنويه إلى ما ذكره ابن بطوطة في رحلته:

"**وهنالك تل يونس عليه السلام، وعلى نحو منه العين المنسوبة إليه، يُقال أنه أمر قومه بالتطهر فيها، ثم صعدوا التل ودعا ودعوا، فكشف الله عنهم العذاب. وبمقربة منه قرية كبيرة بقرب منها خراب يُقال انه موضع المدينة المعروفة بنينوى، مدينة يونس عليه السلام، وأثر السور المحيط بها ظاهر، ومواضع الأبواب التي هي منه متبقية، وفي التل بناء عظيم ورباط فيه بيوت كثيرة، ومقاصر ومطاهر وسقايات**"[٥٧].

ونخلِص في ختام حديثنا أنه من دون تنقيب شامل وموثّق تكون معرفتنا بالموقع القديم ليست ذات قيمة، وحتى بوجود مجموعة لابأس بها من النصوص الكتابية كما في حالة مدينة نينوى، إذ يلعب التنقيب الأثري الدقيق دوراً مهماً وحاسماً في البت في وظائف هذه المباني ومساحاتها وتواريخ تأسيسها وتحديد أماكنها الدقيقة واستظهار معالمها فقصر، اسرحدون في تل النبي يونس لم يكن مُمكناً تحديد موقعه الأول أو الأساس عند بنائه لأول مرة، ولاسيما في الحقبة التي تسبق الألف الأول ق.م. إذ إن العاهلين سنحاريب واسرحدون كانا قد ذكرا أنهما قاما بهدم البناء القديم (الأول) إذ وُجد الطابوق المختوم باسم الملك ادد– نيراري الثالث (٨١٠–٧٨٣) ق.م. وأن ما جاء من أوصاف في الكتابات المسمارية تُمثل عملين لملكين يصفان بناية واحدة وهذا ما أشرته لاحقاً كتابات حفيدهم الملك آشور– بانيبال (٦٦٨– ٦٢٧) ق.م.[٥٨].

الهوامش

(١) يقع هذا التل على الجانب الشرقي من نهر دجلة، إلى الشمال من نهر الخوصر بينما يحده سور نينوى من جهة الغرب، أما من الجهة الشرقية فتظهر بشكل جلي انحناءة نهر الخوصر، وتل قوينجق بيضوي الشكل إذ تبلغ ابعاده (١ كم × ٢/١ كم) وتبلغ أعلى نقطة فيه ٣١ مترا تقريباً .

(٢) تل النبي يونس ارتفاعه (١٥) تقريباً ومساحته (١٥) هكتار عن تفاصيل هذا التل يُنظر:

Turner,J., "Tell Nebi Yunus : The ekal māšarti of Nineveh ",Iraq ,Vol.32/1,1970,p.68; -Reade , J. ,RLA , Vol . 9, 2001, P.390.

وللمزيد يُنظر أيضاً :

مظلوم، طارق عبدالوهاب، ومهدي، علي محمد، نينوى، بغداد، ١٩٧١، ص ١٨-١٩

(٣) تتابع العديد من الرحالة الاجانب على زيارة نينوى والتنقيب فيها ومن اشهرهم ريج، بوتا، ليارد، روس، رسام، رولنسون، وجونز، لوفتس، بيج،كينك، وكامبل تومبسون وكان آخرهم الامريكي سترونك. عام ١٩٩٠ للمزيد يُنظر :

Reade , J., RLA , Vol .9 ,2001, pp.392-4

(٤) ومن الطريف أن فليكس جونز قدم في عام ١٨٥٢معادلة حسابية حول حجم تل النبي يونس وقال إنه يحوي ما يقارب من (٦.٥٠٠٠٠٠) ستة ملايين ونصف طن من التراب، وإذا ما كلف ألف عامل بنقل (١٢٠٠٠٠) مائة وعشرين ألف طن من التراب في السنة فستكون المدة الكافية لإزالة كامل أنقاض تل النبي يونس من الأتربة (٥٤) سنة تقريباً.

يُنظر:

مظلوم، طارق عبدالوهاب، ومهدي، علي محمد، المصدر السابق، ص ١٦.

(٥) يُنظر : Fagan ,B . M , Retutn to Babylon,

Colorado .2007 , pp .115-116 ;

Reade , J ., The Assyrian Sculptur , London , 2006 , p.14

(6) Porter ,B ., P. 73

(٧) أحمد، فاضل عباس،" أعمال التنقيب والصيانة الاثارية في نينوى والموصل التُراثية"، مجلة سومر، ٤٥(١٩٨٧)، ص٣٩-٤١.

(8) AL-Asil , N., "A new Hexagonal prim of Esarhaddon " , Sumer , 12 (1956), p . 9

(٩) العزاوي، عبدالستار، " ظهور الثور المجنح في تل النبي يونس" سومر، ٤٥، ١٩٨٧، ص٩٦-٩٨.

(10) Turner , J.,Iraq,Vol .32 (1970) PP.68-85

Heidele ,Sumur , (1954) , PP. 10-37

Harper ,R.F. ,Hebraica ,Vol .4/2 (1888),PP.99 - 11

(١١) orter,B.,P.8;P.73

Reade , J . ,Assyrian Sculpture, p . 14

(١٢) وهو اللفظ الآشوري لاسم الملك الآشوري اسرحدون.

(١٣) الدبوه جي،سعيد، تاريخ الموصل،ج ١، موصل -١٩٨٢، ص٣٥٩، وكذلك يوسف،شريف،تاريخ فن العمارة العراقية مختلف العصور، الكويت-١٩٨٢، ص ٤٣٤-٤٣٧.

(١٤) يوسف،شريف،المصدر نفسه، ص،٤٣٤

(١٥) العزاوي،عبد الستار، المصدر السابق،ص ٩٦

(١٦) يُنظر: Lioyd, S. ,Foundations in the Dust ,London -1980,P.100

وكذلك: النحاس، مروة زهير، هنري لايارد ونشاطه الأثاري ودوره السياسي في العراق١٨١٧- ١٨٩٤، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل،٢٠١١، ص١٣٨.

(١٧) Porter , B. , op . cit , PP .73-74

(١٨) يُنظر: Fagan , B.M. , Return

Reade, J. , op. cit , p. 14 ;

to Babylon , Colorado , 2007 , PP. 115-116

(19) Porter , B . , op . cit , P . 74

(٢٠) العزاوي، عبد الستار، المصدر السابق، ص ٩٨.

ابو الصوف، بهنام، ظلال الوادي العريق، بغداد، ١٩٩٢، ص ١١٤-١٢٠.

(٢١) وقد افترضت الباحثة بورتر Borter أن بعضاً من الوثائق الخاصة بهذا العاهل التي اكتشفها لايارد هي مفقودة أو لم تعثر على مكان لها على الرغم من أن لايارد ذكر: أنه عثر على ألواح من حجر الحلان (مرمر في إحدى الغرف التي حفر فيها في تل النبي يونس التي استدل بها على أنها تخص مبنى قصر يعود للملك اسرحدون وقد ذكر ألقابه ونسبه فيها وهي تطابق كثيراً الكتابات الموجودة على خلفيات الثيران والأسود الموجودة في القصر الجنوبي الغربي .

Porter , B , op . cit , P . 163

(22) Harper , R.F. , '' Transliteraton and Translation of Cylinder a of the Esarhaddon Inscriptions ,Hebraica , Vol . 4/2 (1888) , pp. 99- 117.

(23) AL .Asil , N . , op.cit,12 (1956), p.9

وكذلك:

Heidel , A ., Sumer , 12 (1956) , pp.10-37

(24) Borger, R. " Die Inschriften Asarhaddons konigs von Assyrien ", Afo , Vol . 9, (1956) / 1967 , Oenabruch p.62

(25) turner, J. , " Tell nebi yunus : The ekal masarti of Nineveh, Iraq, Vol . 32 / 1 (1970), PP.68_85

(26) porter, B.N, op .cit , p.73 ;

Reade, J., op . cit , p.14

(٢٧) من أهم الأدلة الأثرية التي عُثر عليها ليارد هي ألواح حجرية دُوّن على أحدها كتابات مسمارية أستدل بها على أن هذا القصر يعود للملك الآشوري آشور–اخي–ادينا، وكذلك النص المسماري المدون على الموشور الذي عثرت عليه بعثة عراقية عند أحد مداخل القصر الذي دُوّن عليه اسم المبنى، وكذلك فإن المبنى لايبتعد كثيراً عن بوابة السلاح إحدى بوابات مدينة نينوى الرئيسة

يُنظر:

Reade , J. , RLA , P .402

(28) Heidel , A., op .cit ,PP .34-35

Borger , R., op .cit , P.62

(٢٩) حرفياً: "يحتشد فيه "ويُقصد به المقر الذي يتمركز فيه الجيش وعدته من الأسلحة والخيول والبغال بحسب ماجاء في استهلال اسرحدون عند ذكره استخدامات هذا القصر

يُنظر:

Porter , B.N., op . cit , P . 73;

Reade , J.,RLA , P.419;

Turner , J., op .cit , P.68.

(٣٠) يُنظر:

Harper , R.F. , op .cit , P.115;

Luckenbill , D.D., ARAB , Vol . 2 , P.269

(31) Heidel , A ., op.cit , P.35

(32) Reade , J., RLA , P.419 ;

Borger , R., op . cit , P.62

(33) Porter , B.N, op . cit , P.73

(٣٤) وهو اللفظ الآشوري لاسم الملك آشور – بانيبال.

(٣٥) من المُفيد هنا أن نذكر أن أشهر وأوسع قصرين في مدينة نينوى هما قصر سنحاريب في تل قوينجق، وقصر السلاح لاسرحدون في تل النبي يونس، وأن أول من استدل عليهما هو المُنقب الانكليزي اوستن هنري لايارد. يُنظر:

النحاس، مروة زهير، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٣٦) وهو اللفظ الآشوري لاسم الملك سنحاريب.

(٣٧) يُنظر:

Turner , J., op . cit , PP.69 ;

CAD , K , PP.603-604 : b

(38) Reade , J , RLA , P. 419

(٣٩) عن تفاصيل هذا النص والتسمية يُنظر :

Grayson, A.K., RIMA, Vol . 1, 1987, P. 314

(40) Parpola , S., Letters from priests to the kings Esarhaddon and Assurbanipal SAA,Vol .B , Finland , 1998 , P.181 ; P . 63 , No . 71 :9 .

(٤١) CAD , B , P . 274: b .

(42) Turner , J. , op .cit , P .79 .

(43) Ibid .

(44) Turner , J ., op . cit , P .70

(45) Ibid , P .71

(46) Heidel , A . , op . cit , p . 10

(47) Ibid, P .26

(٤٨) هناك علاقة متبادلة بين اسم هذا القصر وأهميته مع اسم البوابة السادسة عشرة بحسب نص سنحاريب التي شُيدت بين عامي (٦٩٧-٦٩٤) ق.م. وسُميت بوابة قصر الاستعراض العسكري أو قصر السلاح وقد تغير اسمها لاحقاً . يُنظر :

Reade , J . , RLA , P.402 .

(49) Heidel , A . , op . cit , PP .30 - 31 .

(50) Heidel , A . , op .cit , pp .34-35 ;

Borger , R . , op .cit , p . 62 .

(٥١) أبو الصوف، بهنام، المصدر السابق، ص ١١٩.

(٥٢) أحمد، فاضل عباس، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٥٣) أحمد، فاضل عباس، المصدر السابق، ص ٤١.

(٥٤) أبو الصوف، بهنام، المصدر السابق، ص ١١٦- ص ١١٧.

(55) Turner , J ., op . cit , P . 79

(٥٧) العديد من الرحالة ربط مابين موقع تل النبي يونس وعين الماء التي موضعها عند سور المدينة والتي عُرفت حديثاً بعين "الدملماجة"، وهي تسمية جاءت عن لفظة تركية (دمل ماجة) وتعني"العين الراشحة "، وهي عين ماء عند الوادي أو الخندق المحيط بسور نينوى وتبعد (١,٥) كم تقريباً عن تل النبي يونس، ولا أرى رابطاً منطقياً يربطها مع قناة الماء التي وصفها اسرحدون في نصه، كما أنها عملياً تبعد بمسافة ليست بقصيرة عن التل. للمزيد يُنظر:

ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج١، حققه وعلق عليه:علي المنتصر الكتاني، ط٤،بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٥٥.

وعن عين الدملماجة ينظر: مظلوم، عبدالوهاب، ومهدي، المصدر السابق، ص٢٠.

(58) Ibid , P . 84

Reade, J ., op. cit, p. 419

مساحة التل:

١٥ هكتار × ١٠٠٠٠ م^{٢} = ١٥٠٠٠٠م^{٢}

مساحة جامع النبي يونس:

٣٣م × ٢٢ م = ٧٢٦ م

مساحة القصر :

القياسات وفق النص الآشوري :

٣١ ذراع كبير × ٩٥ ذراع كبير

٩٥ × ٤٩.٥ = ٤٧.٠٢٥

٣١ × ٤٩.٥ = ١٥.٣٤٥ م

٤٧.٠٢٥ × ١٥.٣٤٥ = ٧٢١.٥٩ م

ارتفاع المصطبة:

(١٨٠-٢٠٠) صف

ولو اعتمدنا سُمك اللبنة الواحدة (٧ سم) بالمُقارنة مع سُمك ما عُثر عليه من طابوق مربع وأحجار تبليط في قصر الملك اسرحدون:

١٨٠ × ٧ = ١٢.٦٠م.

٢٠٠ × ٧ = ١٤.٠٠م.